

تركه استكباراً عن العبادة سلاح المؤمن الدعاء

الشيخ الحسن بن أبي الحسن الديلمي رحمته الله

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «للدعاء شروط أربعة: الأول إحضار النية، والثاني إخلاص السريرة، والثالث معرفة المسؤل، والرابع الإنصاف في المسألة».

ما تقدم إحدى أبرز الروايات الفريدة حول الدعاء، كما أوردها الفقيه الشيخ الحسن الديلمي (ت: ٧٧١ للهجرة) في كتابه (إرشاد القلوب) الذي هو من أجل الكتب الأخلاقية، ومنه هذا المقال.

كان الله ليفتح باب التوكل ولم يجعل للمتوكل مخزباً فإنه سبحانه يقول: «... ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ^٢ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه...».

* وقال عليه السلام: «من سره أن يكشف عنه البلاء فليكثر من الدعاء».

وينبغي للعبد أن يدعو بهم مجموع، وقلب خاشع، وسريرة خالصة، وبدن خاضع، وجوارح متذلة، ويقين واثق بالإجابة ليصدق [فيه] قوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم»، ولا يكون قلبه متشاغلاً بغير الله تعالى.

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «للدعاء شروط أربعة: الأول إحضار النية، والثاني إخلاص السريرة، والثالث معرفة المسؤل، والرابع الإنصاف في المسألة».

الذنب وكفران النعمة يردان الدعاء

* وقال تعالى في الحديث القدسي: «إن العبد يدعوني للحاجة فأمره بقضائها فيؤذنب، فأقول للملك إن عبيدي قد تعرض لسخطي بالنعمة فاستحق الحزمان، وإنه لا ينال ما عندي إلا بطاعتي».

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن العبد ليرفع يده إلى الله ومطعمه حرام فكيف يستجاب له وهذا حاله».

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو أن الناس حين تنزل بهم النعم وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم وولاه من قلوبهم، لردد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد...».

* قال الله تعالى: «ولقد أرسلنا إلى أمير من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم بضرعون» الأنعام: ٤٢.

* وقال تعالى: «فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعلمون» الأنعام: ٤٣.

* وقال: «قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ندعونه تضرعاً وخفية...» الأنعام: ٦٣.

* ومدح قومياً على الدعاء، فقال: «...إنهم كانوا يسرعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» الأنبياء: ٩٠.

* وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة الدعاء».

* وقال: «الدعاء مخرج العبادة».

* وقال: «إذا أذن الله لعبده في الدعاء فتح له باب الإجابة بالرحمة، وإنه لن يهلك مع الدعاء هالك، وإن الله، سبحانه وتعالى، يغضب إذا ترك سؤاله؛ فليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله إذا انقطع، إن سلاح المؤمن الدعاء».

* وقال صلى الله عليه وآله، إنه سبحانه «يتبلي العبد حتى يسمع دعاءه وتضرعه».

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما كان الله ليفتح على العبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة وهو يقول: «...ادعوني»

أستجب لكم...»، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويغلق باب المغفرة لأنه تعالى يقول: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات...».

وما كان الله ليفتح باب الشكر ويغلق باب الريادة لأنه يقول: «...لئن شكرتم لأزيدنكم...»، وما

ورد في الحديث
الشريف أن الله
تعالى يغضب إذا
ترك سؤاله



عن النبي صلى الله
عليه وآله أنه كن
يهلك مع الدعاء
هالك



عن أمير المؤمنين

عليه السلام:

«.. أقرب الناس

إلى الإجابة

والرحمة الطائع

المضطر الذي لا

بد له مما سأل..»

يُعطي النَّعم بشرط الشُّكر لها والقيامِ فيها بحقوقها، فإذا أخلَّ المكلفُ بذلك كان لله التغيير. * وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله، ما نَزَعَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ نِعْمَاءَ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، فَارِطُوهَا بِالشُّكْرِ وَقَيِّدُوهَا بِالطَّاعَةِ؛ وَالدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ وَسِرَاجُ الرَّاهِدِينَ وَشَوْقُ الْعَابِدِينَ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالرَّحْمَةِ الطَّائِعُ الْمُضْطَرُّ الَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا سَأَلُهُ، وَخُصُوصاً عِنْدَ نُفُودِ (نَفَادِ) الصَّبْرِ».

الاستجابة عند فناء الصبر

* وقال النبي صلى الله عليه وآله: «عِنْدَ فَنَاءِ الصَّبْرِ يَأْتِي الْفَرْجُ».

* وجاءت امرأة إلى الصادق عليه السلام، فقالت: «يا ابنَ رسولِ الله، إن ابني سافر عني وقد طالت غيبته وقد اشتدَّ شوقي إليه فادعُ الله لي، فقال لها: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ».

فمضت وأخذت صبراً واستعملته، ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه، فقال لها: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ. فاستعملته ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه طولَ غيبه ابنها، فقال: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ؟ فقالت: يا ابن رسول الله، كم الصبر؟ فوالله لقد فني الصبر، فقال: ارجعي إلى منزلك تحدي ولَدِكُ قَدْ قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ!

فمضت فوجدته قد قدم من سفره. فأتت إليه فقالت: يا ابنَ رسولِ الله، أُوْحِيَّ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ؟ قال: لا، وَلَكِنَّهُ قَدْ قَالَ: عِنْدَ فَنَاءِ الصَّبْرِ يَأْتِي الْفَرْجُ، فَلَمَّا قُلْتَ قَدْ فَنِيَ الصَّبْرُ عَرَفْتُ أَنَّ اللهُ قَدْ فَرَّجَ عَنكَ بِقُدُومِ وَلَدِكَ».

جوده تعالى لا يتعدى حكمته

والدعاء إظهارُ العبدِ الفاقةَ والافتقارَ إلى الله تعالى مع الاستكانة والتذلل والمسكنة والخضوع، وإذا فعل العبدُ ذلك فقد فعل ما عليه من العبودية، والله سبحانه المشيئة في الاستجابة على قدر ما يراه من مصلحة العبد وما يقتضيه العدل والحكمة، لأنَّ جوده وكرمه لا يتعديان حكمته؛ فإنه سبحانه لا يمنع لبخل ولا لعدم، بل للمصلحة وما تقتضيه الحكمة، لا على سؤال العبد في ما يقتريه ويهواه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.. ﴿المؤمنون: ٧١﴾، لأنَّ الداعي يدعو بما يظنه مصلحة له، والله يعمل على ما يعلم، كمن دعا الله تعالى أن يعطيه مالاً وعلم أنه يطغى به فممنعه إشفافاً عليه ورحمةً له، فسبحان من عطاؤه كرمٍ ومنعه فضل.

ومن أكثر من الدعاء والذكر والشكر والحمد والثناء على الله أعطاه الله أفضل ما يُعطي السائلين، فإنه تعالى يقول في بعض كتبه [المنزلة]: «إِذَا شَغَلَ عَبْدِي ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ». وينبغي أن يكون الداعي بلسانه راضياً بقلبه في ما يجري له وعليه، ليجمع بين الأمرين: الرجاء والرضا، ولا ينبغي للعبد أن يمل، والتطويل له أفضل، ما لم يتضيّق وقت فريضة.

وفي الخبر: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَدْعُو اللهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ فَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقُولُ: (أَبَى عَبْدِي أَنْ يَدْعُوَ غَيْرِي فَقَدْ اسْتَجَبْتُ لَهُ). فَلَا تَيَأَسُوا مِنْ تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ إِجَابَةِ مُوسَى وَهَارُونَ فِي فِرْعَوْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ حِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُمَا: ﴿... قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا...﴾ يونس: ٨٩».

(مختصر)